طبوغرافية المدن الآشورية :

لقد كان للطبوغرافية وعواملها المؤثرة دور مهم في اختيار موقع مدينة آشور، فعامل الأمن كان في مقدمة تلك العوامل ، إذ ساعدت أرض المدينة على زيادة استحكاماتها الدفاعية ، لذا جاء اختيار موقع المدينة على الضفة اليمنى لنهر دجلة لتتوسط بذلك المنطقة الواقعة بين مصب الزابين على النهر، يضاف إلى ذلك أن امتداد نهر دجلة وبشكل مستقيم عند حافتها الشرقية مع جريانه السريع وعمق واديه وسعة امتداده شكل مانعاً طبيعياً للمدينة من جهة الشرق ، أما من جهة الشمال فكان لوجود القناة المائية العريضة (أم الشبابيط) ، إلى جانب وجود مرتفعات صخرية ذات انحدار شديد كانت قد شكلت سداً منيعاً أحاط بجانب المدينة الشمالي، وتعززت مكانة المدينة الدفاعية أيضاً مع وجود السلسلتين الجبليتين (حمرين– مكحول) اللتين تمتدان باتجاه يساير اتجاه النهر ، فكانت بداياتهما عند منطقة الفتحة جنوب مدينة آشور والتي انتهت عندها المرتفعات المعروفة محلياً بـ (الخانوقة)، عند روابي لا ترتفع كثيراً عن الأرض شُيدت عليها هذه المدينة ، وتعود هذه التلال مرةً أخرى إلى الغرب والشمال الغربي من مدينة آشور على شكل هضاب مرتفعة عُرفت بتلول القيارة بعيداً عن مجرى النهر.

أما جهة المدينة الغربية والتي تشكلت أساساً من هضبة صخرية قليلة التعرجات، فقد مثلت امتداداً للأراضي الغرينية المتموجة ، لتشكل بذلك عائقاً طبيعياً وعراً أمام المدينة جعلها مخفية عن الأنظار ومن ثم لا يمكن مشاهدتها إلا بعد الاقتراب منها ولمسافة قصيرة ، في حين ان الجهة الجنوبية حددت بروابي قليلة الارتفاع لكنها شديدة الانحدار في ارتفاعها إلى جانب وعورة مسالكها ، وامتد أمامها سهل فسيح تخللته منخفضات ووديان طبيعية امتدت من الشمال والشرق باتجاه الجنوب ، كانت قد استُغلت في العصور المبكرة من تأريخ المدينة لتكون بمثابة مبازل طبيعية لتصريف المياه الزائدة عن المدينة.

أما جهة المدينة الشرقية فإلى جانب وجود نهر دجلة الذي مثل حدودها الشرقية ، كان يوجد أيضاً وراء ذلك النهر سهل واسع أطلق عليه تسمية (سهل مخمور) ، وهناك أيضاً السهل الواقع شمال المدينة والمحصور ما بين مدينة أشور (قلعة الشرقاط)

ومنطقة القيارة ، ومما عُرف عن هذه السهول خصوبتها العالية واعتمادها في زراعتها على مياه الأمطار هذا من جهة، و على بعض الجداول المتفرعة من نهر دجلة أو تلك المتفرعة من احد روافده من جهة أخرى.

يبدو أن البيئة الطبيعية هذه منحت الآشوريين فرصة كبيرة من اجل تطوير قدراتهم لا سيما بعد مرحلة الاستقرار وتأسيسهم النواة المركزية للمدينة ، لينشئوا لهم بعد ذلك بعض الصناعات الحرفية وليقيموا مشاريع ري ضخمة وصلات تجارية مع بقية الشعوب الأخرى خاصةً تلك المحيطة بهم ، وأصبحت بذلك هضبة آشور الزراعية عقدة لطرق المواصلات ومركزاً تجارياً رئيساً .

مما سبق ذكره من تكوينات طبيعية شكلت البيئة الجغرافية المحيطة بالمدن الآشورية، كانت قد تركت أثرها باتجاهين :-

الأول :- أن المظاهر الطبيعية من تلول وهضاب ومجارى مائية (نهر دجلة – أم الشبابيط) وكذلك بعض الوديان عند الجهة الغربية من المدينة كلها مثلت عوامل أخُذت بنظر الاعتبار من قبل سكان المدينة الأوائل في تعزيز مكانة المدينة ودفاعاتها أمام الاعتداءات الخارجية .

ثانياً :- يبدو أن المظاهر الطبيعية هذه كان لها الأثر المباشر في أعطاء مدينة آشور شكلها (المثلث المقلوب) الذي تكون قاعدته إلى الأعلى وقمته إلى الأسفل ، وقد شكل الكتف الصخري ضلعها الشمالي الذي ينتهي عند نهر دجلة مكوناً رأس ذلك المثلث.

تقع مدينة أشور على الضفة اليمنى لنهر دجلة ، أما موقعها فهي على خط عرض(٢٨، ٣٥ᵒ) ، وخط طول (١٤، ٤٣ᵒ)، على مسافة (٩) كم جنوب مدينة، الشرقاط الى الجنوب من مدينة الموصل بـ (١٠٠) كم ، عند أطراف جبل حمرين، اذ بلغ ارتفاع المدينة عند ذلك الموضع حوالي (٢٥م).

تسمية مدينة:-

ورد اسم مدينة آشور في الأزمنة المبكرة على هيئة (A-šu-ur^{ki}) أو (A-sur^{ki}) ، وبعد مجيء الملك (شمشي أدد الأول ١٨١٣-١٧٨١ ق.م) إلى حكم آشور استحدث تسمية جديدة استخدمت مؤقتاً في اغلب كتاباته، وفي العهود اللاحقة أطلقت تسمية(بالتيل كي) التي لفظت على هيئة آشور، التي لفظت على هيئة آشور، التي ظهرت مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد، أصل هذه التسمية أنها ذات أصول جزرية (سامية)، وعليه فأن التسمية غير السومرية وغير الجزرية(سامية) لمدينة آشور أشارت بطبيعة الحال إلى وجود مستوطن هناك قبل أن يصبح السومريون والجزريون العنصر العرقي السائد في المنطقة، وفي حقيقة الأمر أن تسمية آشور تسمية مشتركة ، لأنها أطلقت على المدينة وعلى سكانها، ، والشيء الأكثر رجوحاً هو أن اسم الإله آشور كان أقدم زمناً من بقية التسميات الأخرى والدليل على ذلك هو أن مدينة آشور كان لها أسماء أخرى مثل (بالتيل كي) ، وهذه التسمية تعود إلى أقوام سبقوا السومريين والجزريين.

الموقع :-

ومدينة آشور الحالية على هيئة مثلث مقلوب، يشكل حدها الشرقي نهر دجلة بخط مستقيم طوله (١٥٠٠م) من الشمال إلى الجنوب بينما يحدها من جهة الشمال مجرى مائي آخر كان في السابق يمثل قناة تصب في نهر دجلة تدعى (أم الشبابيط) ، فضلاً عن هذا المجرى المائي كانت هناك مرتفعات صخرية طبيعية عند جهة المدينة الشمالية وهي ذات انحدار حاد شكلت سوراً منيعاً يحيط بهذا الجانب من المدينة ، في حين كانت جهتها الغربية محاطة بهضبة صخرية قليلة الارتفاع تمثل امتداداً للأراضي المتموجة التي تتميز بارتفاع جهتها الشمالية والتي تنخفض تدريجياً كلما اتجهنا نحو الجزء الجنوبي من المدينة لتصبح بعد ذلك سهلاً فسيحاً تتخلله بعض الوديان.

اهميتها:

أن الحديث عن أهمية موقع أي مدينة يرتبط أساساً بأهمية المدينة من خلال ما كانت تقدمه من وظائف سواء أكانت دينية أم عسكرية أم سياسية، وبقدر تعلق الأمر بمدينة أشور فيبدو أنها كانت ذات أهمية دينية بارزة منذ الفترات المبكرة من تاريخ المدينة ، فأقدم ما جاء من معلومات عن المدينة كانت معبد كُرس إلى عبادة الإلهة عشتار وذلك بحدود (٢٨٠٠ق.م) ، اذ كانت آشور في ذلك الوقت تمثل مركزاً دينياً ، أحتل الدين فيها مكانة رئيسة لاسيما في تركيبها الاجتماعي والاقتصادي ، وهذا ما نراه واضحاً في ألقاب الملوك الأشوريين وواجباتهم التي عكست حالة من التداخل بين القوتين الدينية والمدنية'. وبعد هذه المرحلة تطورت مدينة أشور ، وأصبحت مدينة ومكان مقدس للإله شور الذي تركزت عبادته في المكان المعروف باسم (بيت أشور) الذي مثل النقطة المركزية في ديانة الأشوريين وعلى اختلاف عصورهم التاريخية، لقد كانت المكانة الدينية المهمة إلى مدينة آشور العامل الرئيس في بقائها كعاصمة موحدة لبلاد آشور ، على الرغم من ظهور بعض العواصم الأخرى البديلة مثل (نينوى)، التي فاقت آشور في أهميتها السياسية والاقتصادية ، إلا أن ذلك لم يمكنها من أخذ مكانة مدينة آشور كعاصمة دينية ، ومما عزز من مكانتها حصول سكانها على امتيازات مهمة كالإعفاء الضريبي وإعمال السخرة والخدمة العسكرية.

دور مدينة آشور في التاريخ الآشوري :-

كانت مدينة آشور في بداية نشوئها لا تعدو عن كونها قرية صغيرة وبمرور الزمن اتسعت مساحتها وأضحت بلدة يسكنها ومنذ فجر التأريخ جماعة من السومريين الذين اشتهروا بحضارتهم المميزة في جنوب بلاد الرافدين ، فقد عثر لهم في آشور على أثار مهمة منها تماثيل تعود إلى بعض الآلهة والكهنة ، التي وجدت جميعها تحت طبقة الرماد التي كانت تفصل بين تلكم الآثار والمباني الآشورية ، وهو مادل على أن الآشوريين ، لم ينزحوا إلى مدينة آشور فرادى كمهاجرين بل دخلوها عنوةً وليحلوا فيها بعد صراع عنيف تخربت فيه مباني المدينة، كان ذلك في الألف الثالث قبل الميلاد بعد أن قهروا سكانها القدماء وأقاموا فيها كيانهم السياسي والعمراني واشتقوا لهم حضارة خاصة من حضارة بلاد الرافدين القديمة وكونوا لهم منذ الألف الثاني قبل الميلاد أسس دولة عسكرية، وحقيقة الأمر أن بلاد أشور لم ينشأ فيها نظام دولة المدينة على غرار ما كان موجوداً جنوب بلاد الرافدين خلال عصر فجر السلالات ألا أن الآشوريين وخلال عهودهم الأولى مروا بحقب مختلفة كانوا فيها خاضعين من الناحية السياسية والحضارية إلى دول وممالك جنوب بلاد الرافدين ، فخضعوا أول أمرهم إلى سيطرة الاكديين ومن ثم إلى سيطرة سلالة أور الثالثة ، وقد أشارت النصوص المكتشفة في مدينة آشور إلى أسماء ملوك سومريين وأكديين كانوا قد بسطوا سيطرتهم على بلاد الرافدين ومنها بلاد آشور، التي كانت خلال هذه الحقبة تمثل مركزاً إدارياً مهماً.

تنقيبات مدينة آشور

البعثة الألمانية :

أن جميع أعمال التنقيب التي سبق القيام بها كانت الغاية الأساسية من ورائها الحصول على اللقى الاثارية ، من دون أتباع الطرق العلمية في عملية التنقيب ، ومع بداية القرن العشرين حدث تبدل واضح في هذا الأمر خصوصاً عندما بدأت البعثة الألمانية برئاسة (W.Andrae) تنقيباتها في مدينة آشور عام (١٩١٤)، بتركز عملها في الجزء الشمالي من المدينة حيث المعابد والزقورات والقصور مع التركيز على الاستحكامات والأسوار والبوابات ، ومع اقتراب موعد إنهاء البعثة لعملها بقيت مساحات واسعة من المدينة من دون

أن تحصل فيها عمليات تنقيب لذا عمدت البعثة إلى طريقة حفر الخنادق الطويلة ، التي غطت المدينة بالكامل التي امتدت بصورة أفقية من السور الغربي لتنتهي شرقاً عند حافة النهر.

التنقيبات العراقية :

باشرت البعثة العراقية عملها في مدينة آشور عام (١٩٧٨) ضمن خطة أعدت لإحياء المدينة (مشروع الإحياء الأثري لمدينة آشور) الذي كان الهدف منه أعادة صيانة الأبنية الرئيسة في المدينة ، وإعادة مسح المدينة مع رسم خريطة تفصيلية للموقع ، وتركزت نقاط العمال التنقيبي على محاور عدة منها:

الأول : كان التركيز على أعادة كشف المناطق التي سبق كشفها من قبل البعثة الألمانية وهي (بوابة تابيرا ، البوابة الغربية ، القصر الفرثي) .

ثانياً: فتح نقاط جديدة لم يسبق التنقيب فيها شمال القصر الفرثي .

وفي الموسم الثاني بوشر بفتح نقطة تنقيبية جديدة شرق النقطة الأولى على حافة النهر ، كان الهدف منها متابعة ما تبقى من قصر الأمير حيث تم التعمق في احد الخنادق القديمة والتوسع فيه ، إلا أن عمليات الحفر لم تسفر عن شيء جديد يذكر وعليه تم التثبيت أن غالبية قصر الأمير (ولي العهد) ذهب نهباً للنهر، وأعقب ذلك الموسم موسم جديد (١٩٨٥) ، جرى فيه التركيز على صيانة شارع الموكب ، وتم الكشف عن شبكة من قنوات تصريف المياه متجهه من داخل المدينة إلى النهر ، واستمرت بعد ذلك عمليات الكشف والصيانة لمعالم المدينة طوال تلك الفترة حتى عام (١٩٩٠) ، بعد أن توقفت لفترة وعادت للعمل في موسم (١٩٩٣) ، الذي تركز العمل فيه على الجانب التنقيبي فقط ، حيث فتحت نقطة تنقيبية في تل المجنة وكان من نتائجها الكشف عن العديد من الطبقات الأثرية ابتداءً من العصر الفرثي ومن بعدها الآشوري الحديث ' يبدو أن عمليات التنقيب استمرت بعد توقف لفترة زمنية لتستأنف عملها هذه المرة من قبل بعثة عام (١٩٩٩) ، عندما وسعت أعمال حفرياتها بفتح نقاط جديدة للتنقيب قرب البوابة الغربية (اللآت) التي تسمى حالياً (البيت الآشوري).

اظهرت التنقيبات مجموعة ابواب هي:-

١. بوابة كوركوري (تابيرا)
٢. البوابة الغربية
٣. البوابة الجنوبية

٤. بوابات السور الشرقي
٥. بوابات السور الشمالي
٦. بوابات السور الشمالي الغربي

مدينة نينوى

تسمية المدينة

ورد اسم مدينة نينوى في النصوص المسمارية بصيغ مقطعية متعددة، وأكثرها، شيوعاً الصيغتان: "Ni–nu–a" و"Ni–nu–wa–a"، واختلف الباحثون حول أصل تسمية مدينة نينوى، إذ يعد هذا الاسم من الأسماء القديمة التي يكتنفها الغموض. هناك مدينة سومرية قديمة، تقع بقاياها ضمن محافظة ذي قار اليوم، وتحمل اسمًا مماثلاً لنينوى. تعود هذه المدينة السومرية بتأريخها إلى النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد، وكان اسمها مكتوبًا بصيغة "NINNA.A"، ويرتبط هذا الاسم باسم الآلهة السومرية "نينا". وقد دفع هذا البعض للاعتقاد بأن اسم مدينة نينوى قد يكون مشتقًا من اسم المدينة السومرية "نينا" أو من اسم الآلهة السومرية نفسها.

يُشير تحليل العلامة المسمارية التي تُعبّر عن اسم مدينة نينوى إلى أن الاسم يرتبط بمعنى "السمكة" أو "الحوت" أو "النون"، وهو ما يُذكّر بقصة النبي يونس "ذي النون" أو "صاحب الحوت"، الذي أرسله الله تعالى إلى مدينة نينوى، مما قد يعكس ترابطًا ثقافيًا ودينيًا حول هذا الاسم عبر التاريخ.

الموقع

تقع مدينة نينوى في شمال العراق على الضفة اليسرى لنهر دجلة مقابل المدينة الحالية للموصل وتتألف من تلين كبيرين هما قوينجق وتل النبي يونس والذي يهمنا بهذا الخصوص هو تل قوينجق، وهو تل عال تعرض لكثير من أعمال النبش والتخريب بهدف سرقة الأثار والبحث عن الكنوز الأمر الذي تسبب في سلسلة من الحفر والأكوام والأنفاق الطويلة التي كانت تشكل خطرا بالنسبة لملوان وطومسن في حفر المجس

وذلك خشية من حدوث أنهيار في الطبقات المتأخرة التي تعود إلى عصور مختلفة أغريقية وفرثية وساسانية ورمانية ،

مخطط مدينة نينوى

وُصفت مدينة نينوى في الكتاب المقدس بأنها "المدينة العظيمة"، وهو وصف يعكس أهميتها السياسية كالعاصمة الثالثة للدولة الآشورية، ودورها البارز على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية آنذاك، امتدت مساحتها الشاسعة إلى نحو ٨.٣٢٥ كم²، أي ما يعادل حوالي ثلاثة آلاف دونم.

كانت المدينة محاطة بسورين:

السور الداخلي: مبني من اللبن ويبلغ سمكه في أضيق منطقة أكثر من ١٥ مترًا، بينما يصل عرضه في مناطق أخرى إلى أكثر من ٤٠ مترًا.

السور الخارجي: بُني من الحجارة المهندمة، ويصل سمكه إلى ٣ أمتار، وارتفاعه نحو ٨ أمتار. ويعلوه صف من الحجارة المسننة. يلتصق السوران الداخلي والخارجي إلا في الجزء العلوي منهما، حيث يفصل بينهما ممر ضيق بعرض ٣ أمتار، مخصص لسير الجنود والعربات.

يحيط بسور المدينة في أربعة أضلاع تشبه شبه المنحرف، ويبلغ مجموع أطوالها نحو ١٢ كيلومترًا.

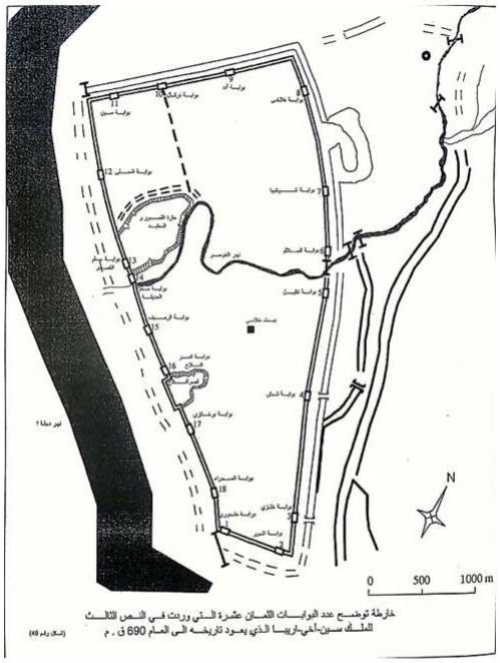

خارطة توضح عدد البوابات الثمان عشرة التي وردت في النص الثالث الملك سنحاريب الذي يعود تاريخه الى العام 690 ق . م

الشكل (١)

مخطط عام لمدينة نينوى الأثرية

عن/ سيف لقمان عبدالرزاق ، تخطيط مدينة نينوى في ضوء المصادر المسمارية والمكتشفات الأثرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، ٢٠١١ .

تتوزع عليها ١٨ بوابة وفق الترتيب التالي (بعكس اتجاه عقارب الساعة):

١. الضلع الجنوبي: أقصر الأضلاع بطول ٨٠٠ متر، ويضم بوابتين فقط هما بوابة خندوري (غير مكتشفة) وبوابة آشور.

٢. الضلع الشرقي: يبلغ طوله ٤.١٧ كم، ويضم ست بوابات هي بوابة خلزي، بوابة شمش، بوابة ملسي (موقعها غير محدد)، بوابة مشلالم، بوابة شيبانيبا، وبوابة خلاخ.

٣. الضلع الشمالي: طوله ٢.٠٦٢ كم، ويضم ثلاث بوابات هي بوابة أدد، بوابة نركال، وبوابة سين.

٤. الضلع الغربي: أطول الأضلاع بطول ٤.٩٩٠ كم، ويضم سبع بوابات هي بوابة المسقى، بوابة القصر، بوابة الحديقة، بوابة المسناة، بوابة قصر الاستعراض،

بوابة بلاد بارخلزي، وأخيراً بوابة مدباري (الصحراء)، وكان السور مدعمًا بأبراج دفاعية مدمجة في هيكله، تفصل بينها مسافة لا تقل عن ١٠ أمتار.

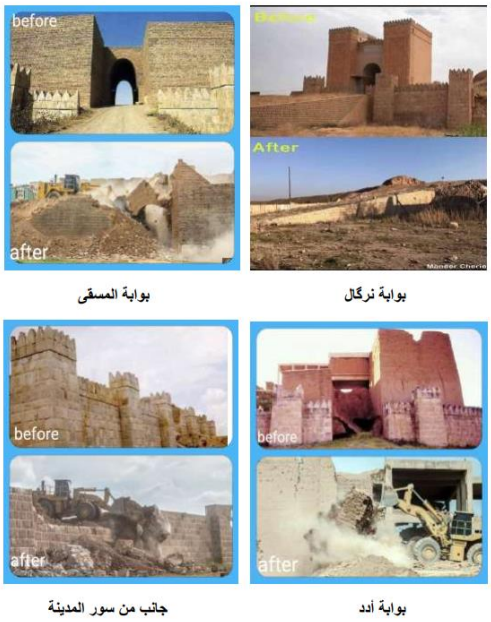

الشكل (٤)
بوابات نينوى وسورها قبل التخريب وبعده

قصور ومعابد نينوى

توزعت قصور المدينة ومعابدها على تلين رئيسيين، هما تل قوينجق وتل النبي يونس، ويقعان في الجهة الغربية من المدينة المطلة على السور:

تل قوينجق: الأكبر بين التلين، ويضم عدداً من المعابد الرئيسية مثل معبد عشتار، معبد آشور، معبد كدموري، معبد سيبيتي، معبد نابو، معبد سين، معبد شمش، ومعبد أدد. كما يحتوي التل على عدة قصور، أهمها القصر الجنوبي الغربي (قصر سنحاريب) والقصر الشمالي (قصر آشور بانيبال).

اما تل النبي يونس: يقع جنوب تل قوينجق، ولم تُجرَ فيه أية تنقيبات أثرية عميقة، باستثناء بعض الأنفاق الجانبية، نظرًا لوجود جامع النبي يونس عليه ومقبرة

حديثة واسعة في أقسامه الشرقية، بالإضافة إلى وجود منازل سكنية مأهولة حول الجامع.

كانت نينوى، بمعابدها وقصورها وأسوارها، مدينة عظيمة تعكس عظمة الحضارة الآشورية وقوة الدولة التي بنتها، وما زالت آثارها تشهد على مجدها التاريخي ومكانتها الثقافية.

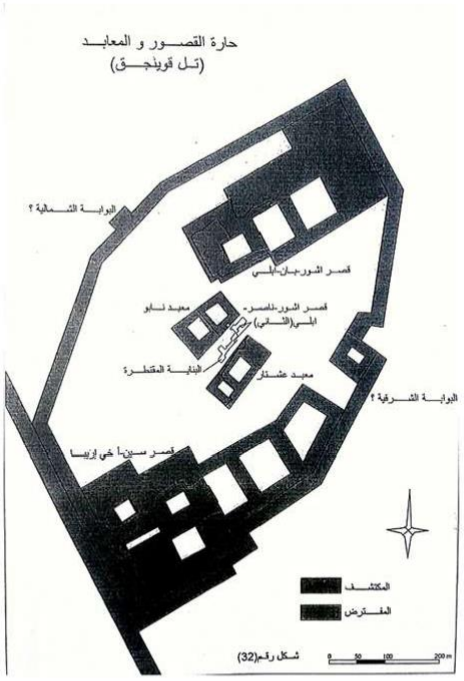

الشكل (٢)

مخطط عام لتل قوينجق والأبنية التي يضمّها

عن/ سيف لقمان عبدالرزاق ، المصدر السابق .

التنقيبات في مدينة نينوى

لقد كانت أولى التنقيبات العلمية في نينوى من قبل البعثة البريطانية التابعة للمتحف البريطاني التي ترأسها الأستاذ كامبل طومسن وكان البرفسور ماكس مالوان مساعداً له في هذه الهئية حيث أستمرت أعمال البعثة لأربعة مواسم من عام ١٩٢٧ حتى ١٩٣٢ وكان الهدف هو تكملة أيجاد الألواح الطينية المكتوبة ذات المحتوى الأدبي والتنقيب في معبدي عشتار ونابو الواقعين في المنطقة الوسطى من تل قوينجق،

كانت من أبرز اعمال الموسم الرابع (١٩٣١-١٩٣٢) لبعثة التنقيب برئاسة كامبل طومسن ومساعدة زوجته وبالتعاون مع ماكس مالوان وزوجته هو التنقيب في مجس قبل التاريخ في أعلى نقطة لتل نزولاً الى الأرض البكر والأستيطان الأول للموقع، وكان كامبل طومسن متيقناً أنه لم يضطر الى الحفر بعمق كبير لأنه كان يعتقد جازماً ان نينوى قد أسست فوق طبقة من الصخور الرملية أو كتلة مختلطة وأن أقصى عمق يضطر الى الوصول اليه هو ٤٠ قدماً وبتشجيع من مالوان فقد حفر عميقاً في منطقة سطحية لا تقل أبعادها عن ٧٥×٥٠قدماً (٢٠×١٥م) تقع على الجانب الغربي من معبد عشتار.